مجلة كلية الآداب
"دوريَّةٌ – أكاديميَّةٌ – علميَّةٌ – مُحَكَّمةٌ"
عدد (٤٠) مارس ٢٠١٦م ص ص: ١٣٧ - ١٦٦
جامعة سوهاج
كلية الآداب

القيم الإنسانية بين (ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار)

د. موسى محمد نور الضو آدم (*)

المقدمة:

الحمدلله الذي كتب على نفسه الرحمة لعباده تفضلاً منه واحساناً، وجعل من شريعته فُرقاناً بين الحق والباطل، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، يهدي به إلى التي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ورضي الله عن أصحابه الذين حملوا الراية من بعده وجاهدوا في الله حق جهاده حتى أعزّ الله بهم الإسلام.

وبعد:

فهذا بحث عن القيم الإنسانية بين ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار دراسة موازنة توجيهية محصورة في هاتين الثقافتين المذكورتين في العنوان، وتكون الموازنة فيما تريده ثقافة الرحمة التي تجلب الخير والنفع للإنسانية جمعا، وفيما تريده ثقافة الاستكبار التي تسلك سبلاً أخرى مخالفة لثقافة الرحمة، غير مكترثة بشئ مما يحقق نفعاً للإنسانية، فنحن أمام نموذجين، يمثل كل منهما حالة حضارية تناقض الأخرى.

فللحياة ركائز تعتمد عليها، وأسساً تنبني عليها، ومعانٍ سامية تناط بها المنافع والمصالح، والرحمة من هذه المعاني العظيمة والصفات الكريمة التي تسعد بها الحياة ويتعاون بها الخَلقُ، لأنها ذات خُلقٍ عظيم، ووصفٍ كريم، و ضاربة في جذور المخلوقات، ومختلطة بكيان الموجودات الحية، وهي صفة كمال في المخلوق يتعاطف بها الخَلقُ، ويشفق القوي على الضعيف، فيحنو عليه بما ينفعه، ويمنع عنه شره، ويتوادُّ بها بنو آدم، فالرحمة موجودة في الفطرة التي خلقها الله، ولكن قد تطمس الفطرة بالمعاصي، فتكون الرحمة قسوة جبّارة ضارة، وكل هذا خلاف ثقافة الاستكبار، ذات الخُلق اللئيم المتسلط، والتي لا تعرف إلاّ مصالحها فقط، دون أدنى نظرة للآخرين.

(*)أستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة الإسلامية – جامعة أم درمان الإسلامية – جمهورية السودان – مُعار لقسم الثقافة الإسلامية – كلية التربية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

مستخلص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خَلق الله أجمعين الرحمة المهداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فلقد هدفت الدراسة إلى عقد الموازنة المتمثلة في القيم الانسانية بين ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار، حيث تكمن أهمية هذا البحث في بيان المعنى الحقيقي لثقافة الرحمة، وثقافة الاستكبار، عن طريق ما قمت به من موازنة بين الثقافتين متضمناً المخطط العام الذي وضع لهذا البحث، وأشير إليه هنا بصفة اجمالية، حتى يكون القارئ الكريم على بينة من ترتيبه وخلاصته، قبل الخوض في تفصيلاته، فقد رتبت البحث على مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة، أما المبحث الأول: فقد خصصته للمفاهيم العامة حول العنوان، كـــ تعريف: القيم – الإنسانية – الثقافة – الرحمة – الاستكبار، في اللغة والاصطلاح.

أما المبحث الثاني: فقد خصصته للحديث عن: ثقافة الرحمة، وثقافة الاستكبار بصفة عامة، ففي ثقافة الرحمة جاء الحديث عن: مواصفاتها التي تمثلت في إخلاص العبودية لله تعالى، حفظ الكرامة مع ذكر أهم مظاهر التكريم، التسامح الايجابي، معرفة قدر ابن أدم، وشكر النعمة، أسبابها وبعض مستوياتها، وكذلك تناولت مظاهر ثقافة الرحمة واكتسابها.

أما المبحث الثالث: فقد خصصته لثقافة الاستكبار، مبيناً فيه أصولها التي ذكرت منها العنصرية، إنكار حقائق العالم والتحكم في الإمكانيات المادية ؛ وكذلك تحدث عن ملامحها التي ذكرتُ فيها التعاظم، عبادة الذات والشهوة، الاستهتار بالآخر، والاستبداد.

أما المبحث الرابع: فقد تعرضت فيه لمضامين ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار، كلٍ على حده.

أما الخاتمة: فقد أوجزت فيها أهم ما انتهيت إليه خلال رحلتي في هذا البحث، وذلك بصورة إجمالية، تطرقتُ لذكر بعض النتائج والتوصيات التي تحصلت عليها.

وأخيراً لا أقول في عملي هذا أني وفيت بالمراد، ولكن أجهدتُ نفسي على قدر طاقتي لعَّلي أوافق الصواب، وأني أضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يكسوه ثوب الإخلاص، وأن يُجمله بحلة القبول، {... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }(١)

(١) سورة الأحقاف: ١٥

Abstract:

Praise be to Allah, peace and blessings be upon the noblest of God's creation wholes mercy bestowed Mohammed bin Abdullah and his family and companions and the peace and recognition of a lot.

After:

The study aimed at the comparison of human values of compassion culture and a culture of arrogance, where lies the importance of this research in a statement the true meaning of a culture of compassion, and a culture of arrogance contract, by what was done by the comparison between the two cultures, including the general plan that set up to this research, I refer to here as a whole, so that the continental Karim aware of the arrangement and concludes, before going into its specificity, he has arranged a search on the front, and four sections and a conclusion, and the first topic: it has appropriated general concepts about the title, as defined: values - humanity - culture - compassion - arrogance, in the language and terminology.

The second section: it has appropriated to talk about: the culture of compassion, and a culture of arrogance in general, in the culture of Mercy came to talk about: their specifications marked by the sincerity of slavery to God Almighty, save the dignity with your most important honors, positive tolerance, know as the son of Adam, and thanked grace, causes and some of the levels, and also dealt with aspects of the culture of compassion and earned.

The third section has been allocated to a culture of arrogance, indicating the assets that were mentioned, including racism, Anker World Factbook and control of material resources; and also defied all features which it stated that buildup, self-worship and lust, contempt for the other, and tyranny.

The fourth section: it has been for the contents of the culture of compassion and a culture of arrogance, each separately.

The conclusion outlined the most important thing where I left off during my trip in this research, so in total, addressed to mention some of the findings and recommendations it wins.

Finally, I do not say in my work that I carried Balemrad, but strained myself as far as my energy to Ali agree the right thing, and I Odhara to God Almighty to misty dress sincerity, and that Ijmlh Modern System acceptance, {... Lord Oozni to thank the grace that blessed me and my father and working Trdah valid and fix me in my offspring I repent to you and I am one of the Muslims}([1])

([1]) **Ahqaf: (15)**

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول العنوان: (القيم – الإنسانية – الثقافة – الرحمة – الاستكبار)

لكي يتبين للباحث ما يريد من هذا البحث، لابد من تحديد المفاهيم الأساسية التي يدور حولها البحث، حتى يسير على صراط مستقيم ويُدفع اللَّبسُ والغبَش، وليكن ذلك في الآتي:

أ – مفهوم القيم:

القيمة هي صفة في شئ تجعله موضع تقدير واحترام أي أن هذه الصفة تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه، سواءً كانت الرغبة عند شخص واحد، أو عند مجموعة من الأشخاص ؛ مثال ذلك إن للنسب عند الأشراف قيمة عالية، وللحكمة عند العُلماء قيمة عظيمة، ونحو ذلك.

(القيمة): واحدة القيم، فعله: يُقيِّمُ، و ماضيها: قيَّمَ، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم. تقول تقاوموه فيما بينهم"(١)، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء"(٢)، ويتضح مما سبق تقديمه أن لفظ (القيمة) مرتبط بمادة (قوَمَ) التي استعملت في اللغة لإفادة عدة معان منها: قيمة الشيء وثمنه، الاستقامة والاعتدال، نظام الأمر وعماده، الثبات والدوام والاستمرار، ولعل أقرب هذه المعاني لدلالات لفظ (القيمة) هو: الثبات والدوام والاستمرار

ب – الإنسانية:

كلمة انسانية مشتقه من كلمة إنسان والتي اكتسب من استعمالها مع الأيام مجموعة من المعاني صار بها ذلك الإنسان (إنسانا) حتى أن العامة نفسها تقول إن فلاناً رجل (إنسان) أي يتصف بصفات تجعله أهلا لحمل ذلك الوصف، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ }، هنا خاطب الله عز وجل الإنسان منادياً أكرم مافي كيانه وهو إنسانيته التي تميز بها عن سائر الأحياء فهو أكرم من خلق الله، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)، وجعل الإنسان القويم الصالح هو ذلك الشخص الذي يتسم بالعقل والعلم والإيمان والعمل وهذا كله شئ عظيم في جوهره وفي أثره، وقد صور القرآن الإنسان أنه حي عاقل مسؤول محاسب على مايفعل، مجازى على ما يفعل، وتجلى ذلك في قوله تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ }(٣)

و"يحظى الإنسان – حسب رؤية القرآن الكريم– بكرامة خاصة، وحيث إن جوهر الحياة الإنسانية يكمن في حفظ الكرامة والعزة، لهذا منع الإسلام منعاً باتاً التسلط على الآخرين أو إذلالهم، ليعيش المرء حراً كريماً بعيداً عن أي شكل من أشكال الذّل والهوان والتسلط، فالإسلام دين سلام للإنسانية كلها، يريد لها الأمن والطمأنينة، ومن تتمة ذلك ما وضعه من قوانين في معاملة الأمم المغلوبة سلماً وحرباً، تلك القوانين التي تقوم على العهود، والوفاء بها، وإخلاص النية في التزامها "(٤).

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، مادة: « ثقف »، ج٢، ص ٣٣٣، دار صادر، بيروت، سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

(٢) القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: (قوم)، ص ٢٢٣

(٣) سورة القيامة: ١٤

(٤) منهاج الحكم في الإسلام، محمد أسد، ط ١، ص ١٠١، القاهرة، دار المعارف

ج/ مفهوم الثقافة:

أولاً: تعريف الثقافة في اللغة

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية التي تساعدنا على فهم مدلول الألفاظ المفردة نجد أن العرب استعمل مادة (ثَقفَ) بمعان متعددة يرجع بعضها إلى أمور معنوية، كما يرجع بعضها إلى أمور حسية، وإن كانت دلالتها على الأمور المعنوية أكثر من دلالتها على الحسيات، فالأصل اللغوي للثقافة (ثقف) بمعنى: الحذق، والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلم والفهم، وتقويم المعوج من الأشياء"(١). " ثَقِف الشيءَ ثَقْفاً وثِقافاً وثُقُوفة، حذِقه، ورجل ثَقْف وثَقِف وثَقُف، حاذق فهِم، ويقال ثَقِف الشيءَ، وهو سُرعة التَّعلم، وثَقِف الرجلَ ظفر به، وثَقِفنا الرجلَ بموضع فلان، أي أخذناه، وتَثْقِيف الرِّمَاح تَسويتُها"(٢).

وقال صاحب القاموس المحيط: ثَقُف ككَرُم وفَرِح، ثَقْفاً وثَقَفاً وثَقافة، صار حَاذِقاً خفِيفاً فَطِناً، وثَقِفَه كسمِعه صَادَفَه، أو أخَذَه، أو ظَفِر به، أو أدركَه، وثَقَّفَه تَثْقِيفاً: سَوَّاه، وثاقفه فَثَقِفه كنَصَره، غَالَبَه فغَلَبَه في الحِذق"(٣). قال الراغب الأصفهاني: " الثَّقْفُ: الحِذقُ في إدرَاك الشيء وفعله، ومنه استُعِير المُثاقفة، ويُقال: ثَقِفتُ كذا إذا أدركتَه ببصرَك لحِذق في النَّظر، ثم يُتَجوَّز به فيُستَعمَل في الإدرَاك وإن لم تَكُن معه ثقافة"(٤).

ثانياً: تعريف الثقافة في الاصطلاح

لابد من وجود صلة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل مادة، إذ الأصل في الاستعمال هو اللغة، ثم يجري نقل اللفظ إلى الاصطلاح كما هو معلوم، فقد تعددت مفاهيم الثقافة تبعاً لموقع رؤية كل مدرسة، اهتمت بها وبما يُعد من مكوناتها، إلا أننا نريد بها في مقالنا هذا: طبيعة الرؤية التي تتحكم في المرء فيأتي ما يأتي في حياته، ويذر ما يذر، منطلقاً من ملامح عقلية تميز سيرورة حياته.

إن مصطلح الثقافة لم يُعرَّفْ تعريفًا واضحاً قاطعاً للجدل فكان معناه في الاصطلاح أوسع من معناه في اللغة الذي سبق بيانه فتعددت الآراء حول مفهومها الاصطلاحي، ونكتفي بتعريف المجمع اللغوي الذي عرفها بقوله : "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطْلَبُ العلم بها والحِذْقُ فيها"(٥)، فإذا نظرنا إلى العلاقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، نجد أن الثقافة في النسق الفكري الاسلامي هي: كل ما يسهم في عمران النفس وتهذيبها، فكما جاء في التعريف اللغوي لكلمة ثقافة أن التثقيف من معانيه التهذيب، نجد أن من باب الرؤية العامة ومن خلال ما قام الباحث بسرده لمفهوم الثقافة أنها تُعنى بتهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد، والقيم والآداب والفنون عن طريق البحث والتنقيب.

د – مفهوم الرحمة:

أولاً: الرَّحْمَة لغة

الرحمة: من رحمه يرحمه رحمة ومرحمة، إذا رقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا. ومنها الرَّحِم: وهي عَلاقة القرابة، "وقد تطلق

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: « ثقف »، ج٢، ص ١١١، دار صادر، بيروت، سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
(٢) المرجع نفسه، ص ١١٧
(٣) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة « ثقف »، ص ٢٢٢، المكتبة التجارية، مصر.
(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، مادة: ثقف، ص ١٢١، دار الفكر، بيروت.
(٥) المعجم الوسيط، مادة «ثقف»، ج١، ص ٩٨.

الرَّحْمَة، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَة، كإطلاق الرَّحْمَة على الرِّزق والغيث) (١) و(الرحمة) ترجع في اللغة إلى الرقة، والعطف، والمغفرة. قال ابن منظور: (الرحمة): الرقة والتعطف، والرحمة المغفرة، وترحم عليه دعا له بالرحمة "(٢)

"والرحمة: الرقة والتّعطّف. والرحمة: المغفرة. والرحمة: الرزق والغيث. والرحمة في بني آدم: رقة القلب وعطفه. ورحمة الله: عطفه، وإحسانه، ورزقه"(٣)، "وقد تطلق الرحمة ويراد بها ما تقع به الرحمة كإطلاق الرحمة على الرزق والغيث"(٤)

ثانياً: الرَّحْمَة اصطلاحًا:

الرَّحْمَة رقَّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُوم، وقد تستعمل تارةً في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة، وقيل: (هي رقَّة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه"(٥)، وقيل هي: "رقَّة "رقَّة في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس، أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السُّرور حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"(٦)

وهي صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك، فمن رحمة الأب بولده: أن يُكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه، ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل، كرحمة بعض الأمهات"(٧)

والرحمة صفة من صفات الله ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(٨)، فالرحمة في الاصطلاح تنصرف إلى تشكيل رؤية خاصة تجاه الإنسان والكون والحياة، فهي: حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"(٩)

هـ – مفهوم الاستكبار:

أولاً: الاستكبار في اللغة

(الاستكبار) في اصطلاح اللغة العربية من الكبر، وهو المبالغة في التكبّر وإظهار الرفعة والعلو على الآخرين. وكان أول من استكبر إبليس عندما تمرّد على الأمر الإلهي بالسجود لآدم ثم أطلقت كلمة الاستكبار على السعي للسيطرة وبسط النفوذ على الآخرين انطلاقاً من الشعور بالعلو والرفعة.

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٢، ص ٤٩٨
(٢) لسان العرب، لابن منظور، ص٢٣٠
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣١
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٣٠
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢١، ص ٢٦
(٦) الأخلاق الاسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ج٢، ص٣
(٧) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ج ٢، ص ١٦٩
(٨) سورة الحديد: ٢٨
(٩) الكليات، للكفوي، مقابلة وإعداد: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، ط١، ص ٤٧١،سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

و(الاستكبار) بمعنى: الاستعظام، والتعاظم، واستكبر الشيء: رآه كبيراً وعظُم عنده، وأكبَرتُ الشـــيءَ: أي استعَــظمتُه، وقد تكبر، واستكبر، وتكابر، وقيل: تكبر، من الكبر"(١)

والاستكبار: التعظُّم: وأن يتكبّر ويتعظَّم، وهو استفعال من (كبر) يشعر بالتكلّف، لأنها صفة غير أصيلة، لذا تثبُت في حق كل أحد سوى الله تعالى، ولذا لم يرد وصف الله تعالى بـــــــــــ(المستكبر)، ووصف به غيره وسمى نفسه (المتكبّر)، فالمتكبر واحد هو الله تعالى، والمستكبرون من عداه تعالى"(٢)

ثانياً: الاستكبار في الاصطلاح

فهو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، طالباً "ذلك بالتشبع وهو التزيين بأكثر مما عنده"(٣)، فالاستكبار هو أن يرى نفسه كبيراً فوق غيره، ويتعالى على غيره، ويظن نفسه أفضل من الخلق، والاستكبار ليس صيغة للتكبر ونوعاً من الشموخ يوصف به الفرد الأناني المستعلي , وإنما هو وجود تكتل اجتماعي سياسي اقتصادي يطأ المستضعفين ويعلو في الأرض بغير الحق ويفسد فيها ويصد عن سبيل الله "(٤).

المبحث الثاني: ثقافة الرحمة

ثقافة الرحمة هي التي جاء بها الرُسل، وقد جاءت الآيات القرآنية العديدة التي توضح أن المقصود من بعثة الرُسل: هو الرحمة بالعباد، وإرشادهم إلى الحق والخير، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}(٥)، وقوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}(٦)، هذه الآيات واضحة الدلالة في أن بعثة الرُسل ما هي إلا رحمة من الله لعباده فمن قبل هذه الرحمة وشكر النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

لقد حث القرآن الكريم علي التحلي بفضيلة الرحمة مع أحق الناس بهذه الرحمة وهم الآباء والأمهات قال تعالي: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}(٧)، واستفاضت الأحاديث الدالة على الرحمة بمفهومها وهي لا تكاد تحصى , وذلك لأنه ما من معاملة من المعاملات أو رابطة من الروابط الاجتماعية أو الإنسانية إلا وأساسها وقوام أمرها الرحمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جعل الله الرَّحْمَة فِي مائَة جُزْء، فَأمْسك عِنْده تِسْعَة وَتِسْعين جُزْءا، وَأنزل فِي الأَرْض جُزْءا وَاحِدًا، فَمن ذَلِك الْجُزْء تتراحم الْخلق، حَتَّى ترفع الْفرس حافرها عَن وَلَدهَا خشيَة أن تصيبه)(٨)، قال قال الامام القرطبي مقتضى هذا الحديث: "أن اللّه علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحدٍ انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده

(١) لسان العرب، لابن منظور، ص ١١٩
(٢) انظر، المرجع نفسه، ج٥، ص١٢٥.
(٣) الكليات، للكفوي، ص ٢٨
(٤) الاسلام وتحدي الماركسية اللنينية , للاستاذ عبد السلام ياسين ص ١٢٢.
(٥) سورة الأنبياء: ١٠٧
(٦) سورة النساء: ١٦٥
(٧) سورة الإسراء: ٢٤
(٨) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: جعل الرحمة مائة جزء، حديث رقم: ٦٠٠٠

المؤمنين ما بقي فبلغت مائة، وكلها للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}(١)، فإن رحيما من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم حظ من الرحمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم اللَّه من الرحمات للمؤمنين"(٢)، وإليه الإشارة بقوله تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}(٣)، وهذا تأكيد على ما أنزله الله تعالى في الأرض من رحمته التى خلقها لعباده وجعلها فى نفوسهم، أما التى أمسكها عند نفسه هى ما يتراحمون به يوم القيامة ويتغافرون من التبعات التى كانت بينهم فى الدنيا"(٤)، وأجمع سلف هذه الأمة على وصف الله بأنه "رحيم" وعلى أن من صفاته " الرحمة "، وأثبتوا هذه الصفة، كما أثبتها سبحانه لنفسه وأثبتها له نبيه – صلى الله عليه وسلم –، بل هذا الأمر فطري لا يتوقف فيه إنسان ما، إذ كل حي يدرك أثر هذه الصفة في نفسه وفي غيره في الأرض وفي السماء، في كل لحظة ولمحة، وجميع القلوب تقر برحمة أرحم الراحمين، والرحمة فضيلة تدل علي قوة صاحبها ونبله لأنه لا يحتكر الخير لنفسه ولا يهمل التفكير في سواه. وقد يعبر عنها بخفض الجناح كما في قوله تعالي: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}(٥)

فالبعد المعرفي: يتمثل في طبيعة الرؤية القرآنية النسقية التي يستبطنها الكتاب في تفكيك قيمة الرحمة في النسيج القرآني، ومحاولة إثبات أن خصلة الرحمة هي عماد نسق الرؤية القرآنية للوجود، ومحور العلاقات الناظمة لعناصره الكبرى، إنها رحمة واسعة قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}(٦)، تسع كل العالمين، كما يتجلى هذا البعد في إثارة الموضوع بجهد مستقل عن مباحث الأخلاق أو العقائد أو الدراسات القرآنية لترسيخ قيمة الرحمة في نسيج الرؤية الإسلامية وصد الهجمة المادية المعاصرة عن الإسلام والإنسان"(٧) والقرآن الكريم يعلنها واضحة، ويصرح بها جلية ناصعة: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [سورة الأنبياء: ١٠٧] فيحدد الغاية من خلق سيد الخلق ومن بعثه بالهدى وتكليفه بالرسالة: إنها رحمة للعباد –كل العباد– بلا تخصيص ولا استثناء، وقد وصف الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة آل عمران بقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}(٨) وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(يسروا ولا تعسروا ؛ وبشروا ولا

(١) سورة الأحزاب: ٤٣
(٢) أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ط٥، ص ٤٢، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.
(٣) سورة الأعراف: ١٥٦
(٤) أنظر، شرح صحيح البخارى، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، ج٩، ص ٢١٣، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م
(٥) سورة الإسراء: ٢٤
(٦) سورة الأعراف: ١٥٦
(٧) انظر: أبوزيد المقرئ الإدريسي، عموم الرحمة وعالمية الإسلام، منشورات مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، ط١، ص ٨١، الدارالبيضاء، مارس ٢٠١٤.
(٨) سورة آل عمران: ١٥٩

ولا تنفروا)(١)، كل هذه المبادئ التى دعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي الرحمة التي انبثقت منها العلاقات الإنسانية في الإسلام.

أولاً: المواصفات التي تتميز بها ثقافة الرحمة

أ – إخلاص العبودية لله تعالى:

إن من الخصائص التي تتميز بها ثقافة الرحمة إخلاص العبودية لله تعالى، العبودية القائمة على الإخلاص في كل فعل وعمل يصدر عن الإنسان بحيث يكون التوجه إلى الله سبباً لكل فعل، وغاية في كل عمل، لا يرجو الانسان غير مرضاة الله، ولا يتحفز إلاّ بحافز حب الله سواء في صلاته وصومه، أو في تفكيره ونيته، وأحاسيسه ومشاعره، أو في علاقاته وسلوكه الذي يمارسه في مجتمعه ومحيطه، من أخلاق وسياسة، واقتصاد، وقضاء، وحب، وكره، ورضاء، وغضب، فالعبودية لله جمعت خير الدنيا والآخرة، لانها تُحرر الناس من هذه العبوديات لغيره، فإذا صِرْتَ عبدًا لله تحررت من عبودية الشهوة، وتحررت من عبودية البشر، وإذا صرت عبدًا لله تحررت من عبودية المال، فصار المال يخدمك لا أنت الذي تخدمه، بل الدنيا كلها تخدمك ولا تستطيع أن تهزمك، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)(٢)، عبوديتك لله تعالى تأتيك بخير الله لك، وخيرك لا ينفع ربك بل يعود يعود عليك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)(٣)، ولا يُسْتَذلُّ الإنسانُ ولا تلحقه التّعاسة والشقاء والنّكد إلا إذا عَبّدَ نفسه لغير الله من شهوات الدنيا وملاذها، وعَنْ أبي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ)(٤)

وإخلاص العبودية لله تعالى أمر موجه إليه شرعاً وعقلاً ؛ فقد قال تعالى: {وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(٥)، وهو أمر مباشر من الله – تعالى – لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو الذي لنا فيه أسوة حسنة، وفي الأمر نفسه يقول تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٦)، وهو ملمح من الملامح الأساسية التي يتبين من خلالها أن الإنسان قبل أن ينصرف إلى الاعتقاد في عقيدة أخرى غير الإسلام، يكون مفطوراً على الإيمان بدين الله تعالى، والإيمان به، لأنه رب الكون الذي ينبغي أن يتوجه إليه كل الناس بالعبادة، ولو رجع الإنسان إلى فطرته لعرف الله دون أن ينظر ويفكر، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة)(٧)، الفطرة هنا الاسلام، وهذا هو المراد من كلمة (طبيعي أو أو فطري): أي الميول والرغبات التي ولد بها الإنسان، ومن الدلائل العقلية التي تجعل الانصراف إلى الله

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة، حديث رقم: ٦٩
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، حديث قم: ٦٥٠٢
(٣) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٨٧
(٥) سورة يونس: ١٠٥
(٦) سورة الروم: ٣٠
(٧) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم: ٢٦٦١.

بإخلاص الدين والإيمان، كون غيره لا يملك للمرء ضراً ولا نفعاً، والدلائل الواقعية أكبر من أن تحصى في هذا الباب، ومن المفارقات الغريبة، بهذا الخصوص أن نجد كثيراً ممن منَّ الله – تعالى – عليه بعلم ومعرفة وثقافة واسعة يُنكِر التوجه إلى الله – سبحانه – بالعبادة، ونجد غيره ممن اعتُبر أمِّيّاً يعرف طريقه التي ينبغي أن يسير عليها الأمر كله، فنقول إنه أوعى من سابقه، وأقوى بصيرة من كثير ممن يعدون مثقفين، إلا أنهم لم يستفيدوا من ثقافتهم شيئاً ولم يضيئوا بها طريقاً، ولله در الأعرابى الذي كان يتردد على (صَنَمِهِ) صباح مساء، وذات مرة جاءه، فوجد ثعلباً يَبُول عليه، فثارت به حميّته فأمسكه وكسره إربا إربا وقال: أربّ يبول الثّعلبان برأسه.. لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب، وقوله هذا ينبغي أن يتَّخذ موقعَه في الأذهان: ولم يهدأ له بال إلا بعد أن حط رحاله عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليعلن إسلامه "(١)، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}(٢)، ولا تتحقق العبودية الا بأن يجعل كل عمل يمارسه الإنسان في الحياة، متطابقاً مع إرادة الله، فالحكم عندما يحكم بين الناس بالعدل، والتاجر حينما يمتنع عن الغش والربا والاحتكار، والعامل حينما يخلص في العمل ويسعى من أجل الكسب والحلال، والقائد حينما يضحي من أجل الحق والإصلاح، والجندي عندما يجاهد في سبيل الله، والأب حينما يربي أبناءه تربية صالحة وكذلك الذي يترك المحرمات فيبتعد عن شرب الخمر وقتل النفس، وظلم الناس، ومثله الذي يعطف على الفقير، أو يقضي حاجة المحتاج، أو يستنكر عملاً قبيحاً أو يرشد إنساناً منحرفاً، فعندما يعمل الناس جميعاً هذه الأعمال، أو يقفون هذه المواقف وأمثالها وفق أوامر الله وشريعته، إنما يمارسون العبادة بأوضح صورها ويحققون إرادة الله على حقيقتها، قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(٣)، إذن تمتاز تمتاز ثقافة الرحمة عن ثقافة الاستكبار بترسيخها لمفهوم العبودية والاستخلاف، فالمنطق في ثقافة الرحمة يبدأ بربط المخلوق بالخالق.

ب. حفظ الكرامة الانسانية

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وألبسه ثوب الكرامة، وفضله على كثير ممن خلق، وسخّر له ما في السموات وما في الأرض، وأرسل رسله وأنبياءه هداةً ومبشرين ومنذرين، يدلّون الناس إلى طريق الحقّ الذي يحقّق لهم السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة، فالكرامة الانسانية من الخصائص التي تتميز بها ثقافة الرحمة: حفظ كرامة الانسان لأن النفس الانسانية مكرمة ومعظمة، اختصَّ الله – عزَّ وجل – النَّوع الإنساني من بين خلقه بأنْ كرَّمه وفضَّله وشرَّفه، فللإنسان شأنٌ ليس لسائر المخلوقات، فقد خلقه البارئُ تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، إكراماً واحتراماً، وإظهاراً لفضله، واتَّخذ – سبحانه – من هذا الإنسان الخليلَ والكليمَ، والوليَّ والخواصَّ والأحبار، وجعله مَعْدِنَ أسراره، ومَحلَّ حكمته، وموضعَ مثوبته، فالوحي الإلهي تكريم للإنسان، لأنه يهدف إلى مافيه الخير لهذا الإنسان، وهو

(١) بتصرف، جمهرة الأمثال، للعسكري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، ج١،ص ٤٦٥ دار الفكر ١٩٨٨م
(٢) سورة الحج: ٧٣
(٣) سورة الأنعام: ١٥٣

تفضيل له على سائر المخلوقات، فكرامة الإنسان من تكريم الخالق جل جلاله، وهي أصيلةٌ في الطبيعة البشرية، لا تُكتسب لتوافر عناصر أو لتضافر عوامل أو لتواتر أسباب، ولم يكرّم دينٌ من الأديان بني آدم كما كرّمهم الإسلام، على اختلاف أعراقهم وألوانهم. الناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم لآدم وآدم من تراب)(١)، وهكذا نرى أن هناك روابط إنسانية يلفتنا الله سبحانه وتعالى إليها، وهذه الروابط تبدأ بالأسرة ثم تتسع لتشمل القرية أو الحي، ثم تتسع لتشمل الدولة والمجتمع، ثم تتسع لتشمل المؤمنين جميعاً، ثم تتسع لتشمل العالم كله، هذه هي الأخوة الإنسانية التي يريد الحق تبارك وتعالى أن يلفتنا إليها، "وهي تربية يتساوى فيها الجميع والتفاضل بينهم يكون على أساس التقوى والإيمان لا الحسب والنسب والجاه، وهكذا يؤكد الإسلام على وحدة الإلوهية ووحدة البشرية والإنسانية "(٢) والإسلام جاء ليؤكد أصالة الكرامة الإنسانية، وليرسّخ في الإنسان إحساسه بكرامته، وليقوي تمسكه بها، وصونه لها، وذوده عنها، لأنها جوهر إنسانيته، ولبُّ بشريته، وأسُّ ذاتيته، فلقد راعت المبادئ الإسلامية في الإنسان أنه أكرم الخلق أجمعين، وأنه يحمل الأمانة العظمى، وأنه مستخلف عن الله سبحانه وتعالى في الأرض، ليعمرها، وليقيم الموازين بالقسط، وليعبد الله وحده لا يشرك به أحداً، فكان الإسلام باعثاً للكرامة الإنسانية، وحافظاً لها، بما جاء به من مبادئ سامية تصون للإنسان حرمته، وترعى كرامته، وتنزله المنزلة التي أنزله الله إياها مكرماً مكفول الحقوق جميعاً، ولذا نجد أن الكرامة الإنسانية، تشكل حجر الزاوية في مشروع الإصلاحات والتحولات الإيجابية في أي مجتمع، فلا تطوير لأوضاع الأمة السياسية والحقوقية، بدون صيانة الكرامة الإنسانية أفرادا وجماعات، ولا تطوير لمناهج التربية والتعليم، بدون إعادة الاعتبار إلى الإنسان وجوداً ورأياً وحقوقاً، ولا استقرار عميق لكياناتنا الأسرية والاجتماعية، بدون الحفاظ على كرامة الآحاد مما تتشكل منه الأسرة، ولا تنمية شاملة في مجتمعاتنا بدون حفظ حقوق وكرامة الإنسان، والإنسان حين يكون متصلاً بالله تعالى، وملتزماً بشريعته، فهو يتحرر من كل الضغوطات الداخلية والخارجية، ويصبح رأس ماله الحقيقي هو كرامته، فالحاجة مهما كانت، لا تقوده إلى الذل وامتهان الكرامة، فالكرامة الإنسانية والشعور العميق بها، هي وليدة العبودية لله وعدم الخضوع لأي حاجة قد تذل الإنسان، وتخرجه عن مقتضيات الكرامة والعزة، وتتسم ثقافة الرحمة للكرامة الإنسانية بخاصيتي الشمول والعموم، فتكتسب بذلك عمقاً ورحابةً وامتداداً في الزمان والمكان، ولعل من دقائق المعاني التي ينبغي أن نفطن بها ونتنبه لها، أن آية التكريم من سورة الإسراء جاءت في صيغة العموم، فهي تشير إلى تكريم الله لبني آدم، وليس لجماعة المؤمنين، أو لفئة دون غيرها من الناس، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}(٣)، فالتكريم هنا هو تكريم مطلق المعنى يشمل البشر كافة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسنده، ج ٥، ص٤١١

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ص٧٨، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة سنة- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م

(٣) سورة الإسراء: ٧٠

مظاهر التكريم:

من مظاهر تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان ما يلي:

١/ الخلافة وإعمار الأرض:

تعكس خلافة الإنسان في الأرض أسْمَى مراتب التَّكريم الإلهي، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

٢/ إلغاء الوساطة بين العبد وربه:

"الاسلام دين لا يؤمن بالوساطه بين العبد وربه فلا وسائط ولا مظاهر ولا صور ولا أصنام ولا هياكل ولا طبقة كهان ولا سدنة"(٢)، وللتأكيد على احترام كرامة الإنسان وحُرِّيته، ألغى الشَّارع الحكيم أيَّ وساطة بين الله – عزَّ وجلَّ – وعبْدِه , هذه الوساطة التي تُفْسد التحنُّث والتعبُّد لله، والاعتقاد الجازمَ به سبحانه , كاتِّخاذ كُفَّار مكَّة الأصنام واسطةً، وقولِهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾(٣)، وقد تَحُول بين السَّائل ومُناجيه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٤)

٣/ إيداع مفاتيح المعرفة والإدراك في الإنسان:

ولاِسْتيعاب الإنسان للعلوم وتعلُّمِها وتعليمها, أودَع فيه اللهُ – تعالى – بعض مفاتيح المعرفة المتمثلة في: (التفكُّر , النَّظر , العقل , البصر , القلب , اللُّب...)، وكثير من الآيات التي تشير إلى ذلك كقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾(٦)، فهذه المفاتيح المعرفيَّة تَسْمو بالإنسان إلى الطَّاعة والخضوع لله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٧)، الْعُلَمَاءُ﴾(٧)، وتُجرِّده عن التَّبَعية المُطْلقة والتقليد الأعمى، والنَّظرُ والتفكُّر والتعقُّل، والاستدلال بالأدلَّة التي نصبَها الله لِمَعرفته من أوجَبِ الواجبات بعد الإيمان الفطري بالله تعالى.

٤/ تسخير ما في الكون لِخِدمة الإنسان:

ولِتَحقيق هذه الخلافة سخَّر الله – عزَّ وجل – للإنسان السَّماوات والأرض وما بينهما، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ

(١) سورة البقرة: ٣٠
(٢) مقالات الشيخ محمد الغزالى، مجلة الوعي الاسلامي، العدد: ٨٣ ذو القعدة ١٣٩١ هـ ديسمبر ١٩٧١م، ص ٢٣٩، تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية.
(٣) سورة الزمر: ٣
(٤) سورة البقرة: ١٨٦
(٥) سورة الأعراف: ١٨٥
(٦) سورة الروم: ٨
(٧) سورة فاطر: ٢٨

الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(١)

٥/ خِلْقتُه على الفطرة:

من كرامة الإنسان أنْ خلقه الله مَجْبولاً على الإيمان، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)، الله تعالى ساوى بين خلْقِه كلّهم في الفطرة على الجبلَّة المستقيمة، لا يُولد أحدٌ إلاَّ على ذلك، ولا تَفاوُتَ بين الناس في ذلك.

ج – التسامح الإيجابي:

ومن الخصائص التي تتميز بها ثقافة الرحمة خاصية التسامح وهو "التجاوز والعفو، وهو دعامة من دعائم العلاقات الإنسانية الإسلامية"(٣)، و التسامح ركيزة أساسية من ركائز ثقافة الرحمة، لأنه به تسمو حضارات فوق صفحات التاريخ، والتسامح هو: " الاستعداد لاحتمال الأشياء التي نعارضها، والسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي نختلف معها"(٤) فالتسامح مع الذات هو العلاج للتسامح مع الآخر ؛ وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) (٥)، وإضفاء خلق التسامح على النفس، وإصباغها به، كفيل بتعزيز أواصر الأخوة و التلاحم الأسري، واستمرارية كثير من الأعمال، ودوامها، وحصول الثمرة المرجوة، وتكون الأمور كلها على قدر من اليسر والسهولة، فالتسامح يمنح ثقافة الرحمة طابعاً خاصاً، وهذا يتمثل في أن القلوب لن تُفتح لنا، إلاّ عندما نكون ظرفاً لقوله عليه الصلاة والسلام:

(اذهبوا فأنتم الطلقاء)(٦)، وقوله :اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، وثقافة الرحمة تعمل على بث روح روح التسامح ونشره بين الناس تحت شعار: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)، وأرسى النبي صلى الله عليه وسلم لثقافة الرحمة دعائم التسامح الإيجابي بين البشر، وأوحى الله إليه في القرآن أن لا إكراه في الدِّين، وبيَّن – صلى الله عليه وسلم – حقوق غير المسلمين الذين لا يحاربون المسلمين، وأنَّ لهم الأمن على أنفسهم، وأبنائهم، وأعراضهم، وأموالهم، وفي بلاد المسلمين إلى اليوم رعايا من اليهود والنَّصارى يعيشون حياة كريمة، وهكذا نجد صور التسامح الإيجابي لثقافة الرحمة حتى مع المشركين كما جاء في قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ }(٧)

ومن تجليات التسامح الإيجابي حب الخير للناس أجمعين، والتجاوز عن هفواتهم قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

(١) سورة إبراهيم: ٣٢ – ٣٤
(٢) سورة الروم: ٣
(٣) أنظر: دستور التسامح في الإسلام: المكي الناصري، ص ٦٠.
(٤) سُرادِق التسامح، مشاري العلي، ط١، ص ١٩، الدار العربية للعلوم – سنة ٢٠١٢م
(٥) سنن ابن ماجه، باب: الحلم، حديث رقم: ٤١٨٦.
(٦) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، حديث رقم: ٣٤٥
(٧) سورة التوبة: ٦

رَحِيمٌ}(١)، وهو قول لا ترى من خلاله الرغبة في إلحاق الضرر بالآخرين، رغم أن منهم من ألحق الأذى بإبراهيم عليه السلام ومنهم من جاوز أذاه كل حد مطاق، فبلغ به الحقد والصلف حد إلقائه في النار، وتتسامح ثقافة الرحمة مع كل الناس وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }(٢)، وهذا يعمل على خلق مجتمع متكامل متماسك يحتكم إلى الأسس الحضارية في العيش السليم.

د – معرفة قَدْرِ ابن آدم:

ومن الخصائص التي تتميز بها ثقافة الرحمة أيضاً الدعوة إلى معرفة المرء قدر نفسه، فقبل أن يتطاول، وقبل أن ينصرف ببصره إلى مواطن العظمة لديه، ينبغي له أن يصرف اهتمامه إلى الانتباه إلى مواطن الضعف فيه {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}(٣) والقرآن الكريم يكمل (آدمية البشر) البشر) أو (إنسانيتهم)، ويعلي قدر ابن آدم اذ يقول مثلا: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }(٤)، لقد بين القرآن الكريم أن أمر الإنسان جملة ليس موضوعاً فيه الحبل على الغارب، فذكَّره بسيرورة حياته، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}(٥)، ونبهه إلى أصول الضعف لديه وإلى بداياته الأولى قبل أن يكون شيئاً، لافتاً بصره إلى أن العلم الذي يباهي به كثيراً من الناس، إنما هو مكتسب، مما يدل على كونه طارئاً غير عائد إلى المنطلقات الأصول، فقال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}(٦) بل أكثر من ذلك نبَّهه إلى كونه جملة وتفصيلاً لم يكن شيئاً يذكر، فقال جل من قائل: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}(٧)، وقال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}(٨)، فثقافة الرحمة الرحمة تعرف هذا جيداً وتنبه عليه بغية العض عليه بالنواجذ حتى لا يصاب المرء بغرور.

هـ – شكر النعمة:

هي من أطيب الصفات التي يجب أن يتصف بها المسلم، وهي من مكارم الأخلاق، والشكر هو المجازاة على الإحسان، والثناء الجميل على من يقدم الخير والإحسان، وأجل من يستحق الشكر والثناء على العباد هو الله جل جلاله، لما له من عظيم النعَم والمنن على عباده في الدِّين والدنيا، وقد أمرنا الله تعالى بشكره على تلك النعم، وعدم جحودها، قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}(٩)، فكلمة الشكر من جوامع الكلم تنتظم كل خير وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه. وإن الشكر لله على ما أنعم به على الإنسان من مال أو علم يطهّر النفوس ويقرّبها من الله ويوجّه إرادتها إلى الوجهة الصالحة في إنفاق النعم في وجوهها المشروعة، ويبث فيها الأمل والرجاء والطمأنينة إلى وعد الله بالزيادة والرعاية وحسن الجزاء، فلما كان حال المرء على هذه الصورة، كان أوْلى أن يذكر نِعَمَ الله التي تحيط به

(١) سورة إبراهيم: ٣٦
(٢) البقرة: ٢٠٨
(٣) سورة النساء: ٢٨
(٤) سورة التين: ٤
(٥) سورة الروم: ٥٤
(٦) سورة النحل: ٧٨
(٧) سورة مريم: ٦٧
(٨) سورة الإنسان: ١
(٩) سورة البقرة: ١٥٢

من كل حدب وصوب، يراها كلما استدار، ويجد أثرها أنىّ حل وارتحل، حتى يكون متوجباً عليه أن يقابل عطاء الله بالشكر، و قد ورد في الحديث النبوي الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ)(١)، "و شكر النعمة دليل على على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة، هذه واحدة، والأخرى أن النفس التي تشكر اللّه على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة بلا بطر، وبلا استعلاء على الخَلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد، وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان"(٢).

فشكر النعمة يؤدي إلى رضى الله عز وجل "أن شكر النعمة لله تعالى فيما أنعم به يقتضي أن تُنسب إليه النعمة وأن يُحمد عليها ويُثنى عليه بها، وأن تستعمل في مراضيه مع التحدث بها، يعني أن يقوم بأركان الشكر الثلاثة المعلومة "(٣) وهي: الاعتراف أن الله هو المنعم، وأن تنسب النعمة إليه ولا تنسب إلى إلى الأسباب، وأن يستعمل النعمة في طاعته: فهذه إذا أتى بها العبد فقد شكر نعمة الله، والله جل وعلا يقول: { وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }(٤)

الأسباب المعينة على شكر النعم:

١/ التأمل في نعم الله، واستحضارها في كل لحظة وحين، وعدم الغفلة عنها، فإن كثيرًا من الناس يتنعمون بشتى أنواع النعم من مآكل، ومشارب، ومراكب، ومساكن، ومع ذلك لا يستشعرون هذه النعم، لأنهم لم يفقدوها يومًا من الأيام، واعتادوا عليها، لذلك فإن الله يريد منا التأمل في هذه النعم، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾(٥)

٢/ أن ينظر كل واحد منا إلى من هو أسفل منه، حتى يتحقق داعي الشكر بتحديد الموقع الذي يستقر فيه المرء في حياته، ولن يتحقق ذلك على الوجه الصحيح إلا باستحضار صورة من يستقر في موقع أدنى من موقعه، ولذلك تجد قول رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ)(٦) "هذا حديث حديث جامع لأنواع من الخير، لأن الانسان اذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في

(١) سنن الترمذى، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى المتشبع بما لم يعط، حديث رقم: ١٨٦
(٢) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود، ط١، ج ١، ص٨٥، الناشر: دار المعمور، بهانج – ماليزيا – سنة ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٠ م.
(٣) شرح كتاب التوحيد، للحازمي، ج٢، ص٨٧.
(٤) سورة سبأ: ١٣
(٥) سورة فاطر: ٣
(٦) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب:، حديث رقم: ٢٩٦٣

غالب الناس، وأما اذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير"(١)

٣/ أن يعلم الإنسان أن الله تعالى سيسأله يوم القيامة عن شكر هذه النعم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾(٢)، وقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)(٣)

٤/ شكر هذه النعم بالقلب والقول والفعل، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(٤)، وقال أيضًا : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾(٥)، فاستمرار فاستمرار هذه النعم بالشكر، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(٦)، وهذا النبي الكريم عبد الله ورسوله وهو أعبد الناس لله، وأشدهم تحقيقاً لعبادته، كان عليه الصلاة والسلام يقوم في الليل حتى تتورم قدماه ويقال له: كيف تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: (أفلا أكون عبداً شكوراً؟)(٧)

أهم مستويات شكر النعمة:

معرفة النعمة: لأن معرفة النعمة أحد أنواع الشكر، هناك نعم كثيرة جداً مألوفة، لكن هذه الألفة لهذه النعم ينبغي ألا تجعلنا ننساها، فكلما نقلت المألوفات إلى النعم زادك الله نعماً وكرمك، بأن تعرف أنها نعمة، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، وَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ)(٨) وكذلك من مستويات شكر النعمة امتلاء القلب امتناناً لله عز وجل ؛ ومقابلة هذه النعم بعمل صالح، بخدمة عباده، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى :{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}(٩)

ثانياً: مظاهر ثقافة الرحمة

كما وسعت رحمة الله كلّ شيء، وكلّ إنسان، فإنّ رحمة الإنسان المؤمن بالله وبرسوله وبالإسلام دينًا ومنهجًا وخلقًا وسلوكًا، لا يحدّها حدّ، فهي رحمة بالأقربين وبالأبعدين، وإن كان الأقربون أولى بالمعروف، إنّ الآخر سواء كان كتابيًا ــ أي على إحدى الديانات المعروفة ــ أو غير كتابي، فإنّه يتطلّع إلى

(١) صحيح مسلم، شرح النووي، ج٦، ص٩٧
(٢) سورة التكاثر: ٨
(٣) سنن الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: في القيامة، حديث رقم: ٢٤١٧
(٤) سورة لقمان: ١٢
(٥) سورة سبأ: ١٣
(٦) سورة النحل:١١٢
(٧) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٤٨٣٧
(٨) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب: الأطعمة، باب: ما يقول الرجل إذا طعم، حديث رقم: ٣٥٩
(٩) سورة سبأ: ١٣

رحمتك به وإحسانك إليه لما يعرفه الكثيرون من أنّ الإسلام دين الرحمة والسلام والتعايش والتعاون، وتتمثل مظاهرها في الآتي:

١/ رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأولاده:

وتتبين آثار رحمته صلى الله عليه وسلم حينما رأى ابنه إبراهيم وهو في سكرات الموت، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضى الله عنه – قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عَلَى أَبِى سَيْفٍ الْقَيْنِ – وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – رضى الله عنه – وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: (يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ)، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)(١)

قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: (من لا يرحم لا يرحم)(٢)

2/ الرحمة بالحيوان:

أول ما تعلنه ثقافة الرحمة في مجال الرحمة بالحيوان، أن تقرِّرَ أن عالم الحيوان كعالم الإنْسَان، له خصائصه وطبائعُه وشعوره، قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ}(٣)، فله حقٌ الرَّحمة كحقِّ الإنْسَان، وتكون الرحمة بالحيوان بإطعامه وسقايته، عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ رضي الله عنه قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ الضَّالَّةِ مِنْ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي، وَقَدْ مَلَأْتُهَا مَاءً لِإِبِلِي، فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ إِنْ سَقَيْتُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " نَعَمْ , فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّاءَ أَجْرٌ) (٤).

٣/ رحمته بأطفال المسلمين:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ)(٥)، وكان عليه الصلاة والسلام يلاطف الأطفال بطلاقة الْوَجْه والمزح، وهذه مداعبته ومواساته للطفل الذي مات عصفوره: (يأبا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ)(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إنا بك لمحزونون، حديث رقم: ١٣٠٣

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، حديث رقم: ٤٢٨٢

(٣) سورة الأنعام: ٣٨

(٤) اخرجه ابن ماجة والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: ٩٥٧.

(٥) أخرجه البخاي، كتاب: الأذان، باب: تخفيف الصلاة للأمر يحدث، حديث رقم: ٨٦٨

(٦) أخرجه ابْن مَاجَه، كتاب: الْأَدَب، حديث رقم: ٣٧٤٠

٤/ رحمته بمن عليهم دين:

فمن ييسر علي المسلمين في سداد الدين بأن ييسر علي المعسرين بالانظار، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(١)

٥/ رحمته صلي الله عليه وسلم حتى بالحشرة الضارة عند قتلها:

فإنه صلى الله عليه وسلم حين يأمر بقتل حشرة سامة تفترس الناس بلدغها يجعل المهارة في قتلها مرادفه للرحمة بها، ويرجو الثواب من ربه لمن يجيز عليها في غير إيلام لها، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الْأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الثَّانِيَةِ)(٢)، إن الوزغة حشرة سامة كالأفعى والخلاص من شرها ضروري، ولتأكيده صلى الله عليه وسلم على الرحمة، ينشئ من مثوبة الله سبحانه جائزة لمن يجهز علي تلك الحشرة القاتلة دون أن يسبب لها ألماً، من ذلك نفهم أن الرفق والرحمة عند رسول الله هو جوهر الحياة وزينتها: (إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ولا نزع من شئ إلا شانه)(٣)، هذه ومضات من رحمته صلى الله عليه وسلم بالإنسان والحيوان والطير، والحشر حتي ولو كان ساماً، وحتي الجمادات.

٦/ النزعة الإنسانية

"النزعة الإنسانية التي تميزت بها ثقافة الرحمة، نقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة والعصبية إلى أجواء الحب والتسامح والتعاون والتساوي أمام الله، ولدى القانون، وفى كيان المجتمع تساوياً لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق، أو فئة على فئة، أو أمة على أمة، وإن هذه النزعة لتتجلى في مبادئ حضارتنا وتشريعها وواقعها"(٤).

٧/ المساواة العنصرية

وهذا جانب آخر من جوانب النزعة الإنسانية في ثقافة الرحمة، ذلك هو تقرير المساواة حقاً بين الناس من غير نظر إلى ألوانهم، فبعد أن أعلن القرآن مبدأ المساواة في قوله: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(٥)، وقف الرسول في حجة الوداع ليعلن في خطابه الخالد: (الناس من آدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى)(٦)، ولم تكن هذه المساواة لتقف عند حدود المبادئ التي تعلن في مناسبات متعددة – كما يقع من زعماء الحضارة الحديثة اليوم – بل كانت مساواة مطبقة تنفذ كأمر عادي)(٧)، وليس أدل على رقي الأمة وجدارتها بالحياة واستحقاقها لقيادة العالم، من سمو النزعة

(١) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر حديث رقم: ١٥٦٣

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: استحباب قتل الوزغ، حديث رقم: ٢٢٤٠

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، حديث رقم: ٢٥٩٤.

(٤) من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي، ط١، ص، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م

(٥) سورة الحجرات: ١٣

(٦) أخرجه البيهقي، كتاب: شعب الايمان، ج٧، ص ١٣٢.

(٧) من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ج١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

الإنسانية في أفرادها، سمواً يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان، وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم، وبآثارها في هذا السبيل يفاضل بين حضارتها ومدنياتها.

ثالثاً: اكتساب خلق الرحمة:

١/ تذكر نعم الله تعالى علي العبد، وذلك أن يكون رحيما بعباد الله وبخاصة من حرموا بعض النعم.

٢/ المسح علي رأس اليتيم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله قسوة قلبه فقال: (امْسَحْ رَأسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ) (١). جعله صلى الله عليه وسلم دواءً لقساوة القلب.

٣/ مطالعة سير الأنبياء والصالحين الذين تجلت فيهم صفة الرحمة فهم أجدر بالتأس والاقتداء أو علي الأقل التشبه بهم، وهكذا هي ثقافة الرحمة في مجتمع المسلمين، تلك القيمة الأخلاقية العملية التي تُعَبِّرُ عن تعاطف الإنسان مع أخيه الإنسان، بل هي رحمة تتجاوز الإنسان بمختلف أجناسه وأديانه إلى الحيوان الأعجم، إلى الدواب والأنعام، وإلى الطير والحشرات، فقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة دخلت النار لأنها قسَتْ على هِرّةٍ ولم ترحمها، فقال صلى الله عليه وسلم:(دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا، ولاَ هِيَ أَطْلَقَتْهَا تَأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)(٢) ، كما أعلن صلى الله عليه وسلم أن الله غفر لرجل رحم كلبًا فسقاه من العطش، فقال صلى الله عليه وسلم : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، فَخَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأكُلُ الثرى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرَاً؟! فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)(٣)، وهكذا هي الرحمة في المجتمع الإسلامي، حيث تمكّنت من قلوب أفراده وبنيه، فتراهم يَرِقّون للضعيف، ويألمون للحزين، ويَحنُونَ على المريض، ويَئِنُّونَ للمحتاج، وبهذه القلوب الحيّة الرحيمة يصفو المجتمع، ويَنْبُو عن الجريمة، ويُصبح مَصْدَرَ خيرٍ وبرٍّ وسلام لِمَا حوله ومَنْ حوله.

المبحث الثالث: ثقافة الاستكبار:

(الاستكبار) كلمة مأخوذة من التكبُّر وهو الاستعلاء على الآخرين، والاستكبار ليس مسألة جديدةً، ظهرت في زماننا، بل هو مسألة قديمة بقدم التاريخ، والتكبُّر في الإنسان من الصفات الأخلاقية، فقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أمثلة على المستكبرين كفرعون، قال سبحانه {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ}(٤)

جاء الاستكبار بالبدء مع خلق الإنسان، حين كان تكبر إبليس سببا في طرده ولعنه من رحمة الله تعالى، جاء هذا من اعتقاده أنه هو أكرم وأطهر من الإنسان المسجي من طين، وأنه مخلوق من نار تكوي

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: ٢٥٤٥

(٢) أخرجه، مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها حديث رقم: ٢٣١٨

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المظالم، باب: الآبار التي على الطريق إذا لم يتأذّ بها، حديث رقم:٢٤٦٦

(٤) سورة يونس: ٧٥

ولا تُكوى، وقد فصل الله تعالى في كتابه العظيم، حين قال: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }(١)، ثم بيّن موجب الاستكبار فقال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}(٢)، ادعى لنفسه الأفضلية والخيرية على آدم. "إذاً حسد آدم على ما أنعم الله عليه، أن خلقه بيده سبحانه، ثم كرمه ونفخ فيه من روحه، ثم أمر الملائكة أن تسجد له، فكل تلك نعمٌ متضافرة على آدم، وإبليس استكثر هذا عليه، فهو يراه وهو يعجن في الطين، ثم يراه يسوى من صلصال، ثم يراه ينفخ فيه، وبين يديه تمت خلقه آدم، فاستصغر آدم واستعظم نفسه، فتكبر وجره الكبر إلى الامتناع عن السجود لأمر الله"(٣)، أن هذه الثقافة ليس شرطاً أن نجدها محددة في اسم معين يحيل على جهة من الجهات، وإنما الشرط هو أن نعثر على الملامح، في رؤية حياة انعكست على قول أو ممارسة أو إحساس، وهو ما يجعل الباب مفتوحاً على مصراعيه من أجل إدراج ثقافات مختلفة يجمعها قاسم من قواسم مشتركة يكون لها كِفْلٌ مما نقول.

ومما استقر في فطرة الانسان، الرغبة في أن يكون هو أحسن الناس، وأفضل الناس، فهذه دوافع نفسية قد استقرت في نفس كل إنسان سوي، بغض النظر عن دينه ولغته وبلده ولونه، لكن الناس قد يسلكون مسالك مختلفة وطرقا متعددة للوصول إلى هذه الغايات فمنهم من يُوفق إلى الطريقة الصحيحة الموصلة إلى تلك الغايات، ومنهم من يتنكّب الطريق وهو يلتمس الطريق الصحيح، فثقافة الاستكبار ترى تحقيق ذاتها في الاستكبار على الآخرين بشتى الطرق.

فالاستكبار الامتناع عن قبول الحق مُعاندة و تَكَبُّراً، و الاستكبار أن يرى الفرد نفسه كبيراً و يظهر التكبر و لم يكن كذلك حقيقة، و قد أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الخصال و السجايا التي يتصف بها المستكبرون من قبيل: الغرور، العناد، نكث العهد، الإغواء و الإضلال، الوقوف بوجه الحق، وقتل الانبياء... وألخ، فتُعد صفة الاستعلاء و التكبر و العجب و الانبهار بالذات، من أقبح الخصال البشرية، و من الرذائل التي لا ينبغي للإنسان الاتصاف بها، و قد تصدت تعاليم الدين الحنيف لتلك الخاصية بشدة و عنف حيث ورد في ذمها في القرآن الكريم الكثير من آيات الذكر الحكيم، وكذلك في كلمات المعصومين، حيث تم التحذير من عواقب التكبر، و من فكر و عقائد و خصال المستكبرين، "وقد يكون الاستكبار مع عدم النعمة , وهذا أسوأ كما جاء في الحديث: (ثلاثة لا يُكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، وفيهم: عائل مستكبر)(٤)، لأن الغنى يكون مظنة الاستكبار , أما إذا كان يستكبر مع الفقر , فإن ذلك يدل على خبث في النفس، لأن أسباب الاستكبار غير موجودة"(٥)، فالمستكبر يرى في الحق عدوه الأخطر، لأنه يريد أن يستغل الناس و يبسط عليهم جناح طغيانه، لذلك يبث الدعاية تلو الدعاية ضد الحق.

(١) سورة البقرة: ٣٤
(٢) سورة الأعراف:١٢
(٣) شرح الأربعين النووية، عطية بن محمد سالم، باب: الفرق بين الغبطة والحسد،ج ٥٦، ص٣
(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، حديث رقم: ١٠٧
(٥) شرح الأربعين النووية، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن، باب: تحريم التكبر واحتقار المسلمين، ص٤

أولاً: أصول ثقافة الاستكبار:

يقوم النظام الفكري والإيديولوجي للاستكبار على ثلاثة أصول رئيسة تتمثل في الآتي:

أ- العنصرية:

وقد عرفت العنصريّة منذ بداية الحياة، وكانت جذورها متأصّلة منذ خَلق الإنسان على الأرض، وتعدّ العنصريّة من الأمراض التي تخلّلت في مجتمعاتنا، وسبّبت الكثير من الحروب، وفرّقت بين الناس، ويعتقد البعض أن العناصر والأعراق البشرية تتفاوت فيما بينهما في درجة الذكاء والإبداع الفكري والثقافي، فالعنصر الأسود يختلف عن الأبيض والأصفر وغيرهما من العناصر البشرية، وكذا العرق السامي أو الآري عن غيرها من الأعراق، وينتقل هذا التفاوت عبر الأجيال عن طريق الوراثة، فالنازية تعتبر العنصر الألماني الآري يفوق الآخرين جميعاً ويجب أن يسود عليهم، وقد كانت أول من صب العنصرية في قلب نظام عقائدي سياسي واجتماعي، ومن الأنظمة العنصرية أيضاً النظام الحاكم في جنوب أفريقيا سابقاً والصهيونية العالمية، فهذه الأنظمة تعلن عن عنصريتها بصراحة، إلا أننا نستطيع أن نلحظ النزعة العنصرية عند سائر الأنظمة الاستكبارية وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بل عموم دول الغرب، فالإنسان في المفهوم الغربي هو إنسانه الأبيض، وليس مطلق الانسان ؛ فمثلاً العنصرية عند اليهود نجد أن سببها المباشر عدم الاعتراف بالآخر، فـ" اليهودية التلمودية تحولت إلى (ديانة عنصرية)، يقول عهدها القديم: أن اليهود بحكم الولادة والعرق والدم والجنس، وليس بحكم التدين والصلاح والتقوى هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، وأن علاقتهم بالآخرين -كل الآخرين- ليست فقط الكراهية واللعن والإنكار، فإبادة الآخرين عندهم تكليف إلهي: (... والآن أقتل كل ذكر بين الصغار وكل إمراة عرفت رجل ضاجعها)([1]) ([2])، والقرآن الكريم وصف عنصريتهم هذه في قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }([3])، وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }([4])، فتُعد العنصريّة بأنّها السلوكيّات والمعتقدات والتي يمكن من خلالها أن تُعلي من شأن فئة ما بحيث تمكّنها من التحكّم بفئة أخرى، وأن تقوم بعدها بسلب حقوق الأفراد كافّة، كما أنّ التمييز العنصري يكون إمّا بالدولة أو الأصل أو العرق، أو حتّى بالدّين والجنس ولون البشرة، بالإضافة إلى عنصريّة الطّبقات الاجتماعيّة وهي الأكثر انتشاراً على مستوى العالم، فالعنصريّة أمر خطير جداً في حياتنا كما أنّها تعد أحد أسباب الفتنة، بالإضافة إلى أنّها تعدّ أبرز أسباب الحروب المؤدّية إلى التفرقة بين النّاس، وكل هذا يتعارض مع ثقافة الرحمة، فالإسلام سبق إلى حماية الشخصية الإنسانية من الامتهان والانتهاك، ولذلك لا تستقيم أبداً حفظ الكرامة الإنسانية التي هي من مميزات ثقافة الرحمة، مع أي ضرب من ضروب العنصرية التي تتنافى مع تكريم الانسان.

(١) سفر العدد: ١٧ - ٣١
(٢) السماحة الاسلامية، محمد عمارة، ط١، ص ٤
(٣) سورة آل عمران: ٧٥
(٤) سورة البقرة: ١١١

ب – إنكار حقائق العالم:

الأصل الثاني للاستكبار عدم الاعتقاد بواقعيات العالم وبعبارة أخرى إنكار الحقائق والقوانين والسنن الإلهية، فالمستكبر لا يؤمن بحقيقة ثابتة أو قانون سوى منافعه الشخصية ومصالحه الخاصة، فهو مستعد لارتكاب أي عمل مهما كان شنيعاً إذا كان يصب في خانة مصالحه أو يتجاوز كل الحقوق في سبيل ذلك، ويعبرون عن ذلك بسياسة المنفعة والمصلحة، وأصحاب ثقافة الاستكبار في عصرنا الحاضر يتدخلون في الشئون الداخلية لكثير من الدول والبلدان باسم المعايير والمفاهيم الغربية لحقوق الإنسان، فهنالك حقيقة ينبغي أن لا تنكر–(كما تَدين تُدان) والمقصودُ إيجابُ مراعاةِ العدل مع مَنْ يناصبُهم من غير تجاوزٍ، عدالة من رب العالمين فمن أهنته اليوم فـــغداً أنت به مهان، أي كما تفعل تجازى.

ج – التحكم بالإمكانات المادية:

يمكن اعتبار جذب الإمكانات والقدرات المادية من جملة الأصول التي يعتمد عليها النظام الاستكباري، والقدرة حسب الاصطلاح السياسي هي التمكن من إخضاع الآخرين وجرّهم نحو التسليم المطلق بأي نحو كان، إن توفر الأسباب المادية يؤدي في حال الغفلة عن الله تعالى إلى الشعور بالاستغناء وهو بدوره يدفع بالإنسان نحو العلو والطغيان، يقول الله تعالى في كتابه المجيد :{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى }(١)، حيث إنه من الصعب جداً أن يمتلك الإنسان ثروةً كبيرةً وموقعاً اجتماعياً رفيعاً وغير ذلك وفي نفس الوقت يتجلّى هذا الإنسان بالتقوى والإيمان القوي والعناية الإلهية، وهذا ما يحفظ الإنسان من الانحراف والطغيان في مثل هذه الحالات، ولذلك كان القرآن الكريم دائماً عندما يتحدث عن الانتصارات العسكرية التي يحققها المسلمون، فإنه يرجع أسبابها المباشرة إلى الله تعالى فعند حديثه عن معركة بدر يؤكد أنه {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(٢)، إلى غير ذلك من الآيات كقوله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}(٣)

ثانياً: أهم ملامح ثقافة الاستكبار

ثقافة الاستكبار على كثرتها وتشعُّبها، إلا أننا سنذكر أهم ملامحها فقط، والتي تتمثل في الآتي:

أ – التعاظم:

إن كل فرد تراه يعاني من خصلة التعاظم هاته يحق لك أن تصنفه في ثقافة الاستكبار التي تستصغر من كان على رؤية أخرى، فكأنها تمثل الرؤية الفاصلة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وكل ما عداها هُرَاءٌ وتُرَّهَات، ويرحم الله من سمَّى أصحابها أصحاب (المرايا المحدبة)، ذلك لأنهم ينبهرون بذواتهم أيَّما انبهار، وينتقصون من أقدار غيرهم ممن لم يكن على ما هم عليه، فكأنهم حين يرون ما يخصهم يستخدمون (مرايا محدبة)، وهي المرايا التي من خصائصها عكس الصورة بشكل أكبر من حقيقتها، وإن أرادوا رؤية غيرهم استخدموا (مرايا مقعرة)، وهي التي من خصائصها تصغير الأجسام التي

(١) سورة العلق: ٦
(٢) سورة آل عمران: ١٢٦
(٣) سورة الأنفال: ١٧

تنعكس عليها، والله تعالى "حرم التعاظم على الخلق، لأن فيه منازعة للرب سبحانه وتعالى"(١)، وأن هذا الأمر في واقعه ليس جديداً، وإنما هو قول كانت قد نطقت به أمم أخرى في سالف الدهور، فقد قال الملأ من قوم نوح – عليه السلام – لنبيِّهم: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}(٢)، وهو قول يظهر منه الانشداد إلى سحر المظاهر، ذلك لأن المظاهر تبعاً لما استقر في هذه الرؤية، تعد المقياس الأول، بل الوحيد، الذي تقاس به الأشياء من أجل تحديد قيمتها، وقال قومُ نبيِّ الله شعيب عليه السلام: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ}(٣)، فطبيعة رؤية هؤلاء كانت تفرض عليهم الاحتكام إلى المظاهر من زاويتين أولاهما: ما تعلق بضعف المخاطب، وهي تقتضي استصغاره والتهوين من قدره، ومن ثم عدم الالتفات لما يقول. وثانيتهما: تتمثل في استحضار ما يمكن أن ينتج عن إلحاق الأذى المادي بالمقصود بالخطاب: الرجم، إنها رؤية تحتكم لقانون المظاهر من قوة وضعف، وحاشية ومحيط، ولا شيء غيرها، فالتعاظم على الناس سنة من سنن الجاهلية، وأنه لا فضل لأحد على غيره إلا بالتقوى، وقد أكد النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا المعنى كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: ("يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ)(٤)

فمن جهة أخرى نجد من كانت رؤيته على هذه الشاكلة يقتفي أثر قارون الذي آتاه الله مالاً فظن أنه إنما أوتيه بذكائه وفطنته. قال تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}(٥)، وهي رؤية ليست مقتصرة على هذا أو ذاك، وإنما هي سارية بين الناس، يتبناها أو يمارسها، كل من فقد شرط التوازن، وانزاح إلى ما يقتضيه تطرف الفجور، قال تعالى: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }(٦)

ب – عبادة الذات والشهوة:

إن المتتبع لما تراه ثقافة الاستكبار يجده يشتمل على ما يمكن تسميته (عبادة الذات والشهوة)، ذلك لأن من كانت رؤيته كذلك ارتمى في أحضان ما تطالبه به ذاته سواء كانت فردية أم جماعية، فعمل على تلبية مطالبها ولو كان تحقيقها على حساب غيرها، وحينما تصير حقيقة الارتباط بالذات فالشهوة إحدى مقومات التكليف، وهناك تساؤل عند معظم الناس أنه لولا الشهوات لما وقع الناس في المعاصي والآثام، وقد يأتون ببعض الشواهد أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط٢، ج٢، ص ٤٤٤، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – سنة ١٤٢٤هـ

(٢) سورة هود: ٢٧

(٣) سورة هود: ٩١

(٤) سنن الترمذي، باب: ومن سورة الحجرات، حديث رقم: ٣١٩٣.

(٥) سورة القصص: ٧٨

(٦) سورة الزمر: ٤٩

وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)(١)، فالإنسان عبدٌ للدينار، وعبدٌ للدرهم، وقد يكون عبداً لبطنه، وقد يكون عبداً لفرجه، وقد يكون عبداً للخميصة لثيابه، والحقيقة أن هذا الحديث يشير إلى فئة من الناس عبدت شهواتها من دون الله، وقد أكد الله هذا المعنى فقال: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}(٢)، عبادة الذات أو الدوران حول الذات مرض, والمصاب به تجده لا يحب الثقافة و العلم إلا لمصلحة تتعلق بذاته, فلا يستطيع أن يهتم بموضوع خارج ذاته بالكلية، وإذا تكلمت بموضوع خارج ذاته سيحاول أن يسحبه شيئا فشيئا إلى ذاته , لذلك كل شيء يحدث يراه من خلال ذاته فقط، فالشعور الإنساني يريد أن ينطلق ويرى الحياة بينما الأنانية تربط كل شيء بالذات وهي التي تنتج ضيق الأفق وصعوبات التكيف والغيرة و الحسد، إن عبادة الذات والشهوة لا تبقي الرؤية في حدود هذه الشريحة وإنما تبلغ بها مبالغ لا تقتصر عواقبها عليها، فتصل تأثيراتها إلى من ظن أنه لا يمثلها، وآنذاك يبدو للاستكبار، كما يظهر لمن يسحر الاستكبار عينيه، أنه الأقوى، وأن ما يأتيه وما يذره هو عين الصواب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذن عبادة الذات والشهوة هي ملمح خطير من ملامح ثقافة الاستكبار التي رأينا منها: "تسويد قيم الاباحية في بعض المؤتمرات التي ترعاها الثقافة الغربية بيد دول الاستكبار العالمي، كإباحة المعاشرات الجنسية للأفراد وليس للأزواج فقط، وفي الإطار المثلي بين الشواذ والشاذات، فمثل هذه الأشياء عندهم حق للجميع، كما جاء في مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٩٤مـــــــ، ومؤتمر المرأة في بكين من العام ١٩٩٦مـــــــ"(٣)

ج – الاستهتار بالآخر:

والاستهتار بالآخرين هو الآخر من صور ثقافة الاستكبار، ويكون نابعاً عن كِبرٍ وتعالٍ من المستهتر و يولّد الشحناء والبغضاء بين الناس، فعلى سبيل المثال نجد أن الغرب يكيل لنا بمكيال واحد لا بمكيالين , والمكيال الواحد هو مكيال التعصب الأعمى , والحقد الأسود , والظلم الصارخ للمسلمين فبينما يقوم بإلغاء الحدود بين بلاده , ويوحد عملته , ويوطد وحدته , إذا به يمزقنا إرباً إرباً، والاستهزاء كما قال عنه ابن تيمية: (الاستهزاء هو: السخرية، وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوِّعين من المؤمنين في الصدقات)(٤)، إن الاستهتار بالآخر استصغار لقدره وانتقاص من قيمته، وهذا وهذا الأمر لا يبقينا في هذا المستوى من الرؤية فقط، وإنما يتمدد ليشمل كل الحالات التي يتجلى من خلالها، كأن ينصرف بنا إلى فرض ما ليس مرغوباً فيه ديناً وعقيدة وعادات على الناس، فأن تسلك بك قنوات الإعلام مسلكاً تريد من خلاله تدمير ثقافتك، وتدمير رؤيتك، تكون الرؤية الثقافية تسلك مسلك الاستهتار بما عندك، مستصغرة لما تمسك به المجتمع منذ أمد بعيد، تعكس ممارستها أن ما تأتي به إنما هو القول الفصل، والرؤية التي ينبغي الالتزام بها، وكل ما عداها هراء وهباء، فتكون متخذة موقع رؤية من قال: {مَا

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٨.
(٢) سورة الفرقان: ٤٣
(٣) أنظر، وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، المنعقد بالقاهرة في الفترة من ١ – ١٥ من سبتمبر سنة ١٩٩٤مـــــ، الترجمة العربية الرسمية ن الفصل السابع، الفقرات ١ – ٥
(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج ٦، ص٢٢

أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}(١) وهو رأس ثقافة الاستكبار، فهكذا تكون قد تبينت لنا الملامح التي تتميز بها ثقافتان هيكليتان يمكن أن تدرج فيهما الثقافات المختلفة وأن تنضوي تحتهما، قرباً وبعداً، ضعفاً وقوة، فتتعدد الأشكال وتختلف التجليات والمظاهر.

د/ الاستبداد:

جاء في لسان العرب " الاستبداد : استبد بفلان، أي انفرد به دون غيره. واستبداد: بمعنى تعسف، وتسلط، وتحكم. ومعنى استبد به: أي انفرد به. ويقال: استبد بالأمر، يستبد به استبداداً إذا انفرد به دون غيره" (٢)، وهو إلغاء الآخر وتقليص كيانه: قال تعالى على لسان فرعون: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}(٣)، فالاستبداد يجرد الانسان من أهم خصائص إنسانيته، وهي المسؤلية.

جاء الاسلام لتحرر الضعفاء من الاستبداد والاستعباد والأفكار والعقائد من القيود والخرافات والأوهام، " فالمستبد يرى الآخرين أقل منه شأناً، ودرجةً، ووعياً، إما بدافع سيادة وتأله، أو بدافع غيرةً وأبوةً، إذ ينتج عن الدافعين معاً، نوع إحساس بالاستغناء عن الآخرين، ونصحهم ومشورتهم، وتجاهل لإرادتهم، وطموحهم، وهذا شعور يشكل المدخل الأوسع إلى الطغيان"(٤)، يقول تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى* أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}(٥)، والناظر الآن إلى الاستبداد كملمح مهم من ملامح ثقافة الاستكبار، فليدقق في منظومة القيم في ظل استبداد دول الغرب أو الدول المتقدمة -كما تسمي نفسها- على المؤسسات الدولية في الوقت الراهن، وخاصة مجلس الأمن الدولى، فالاستبداد يأتي منهم للآخرين عن طريق: تقنين منظومة قيمهم في مواثيق يسمونها -دولية- لتفرض باسم -الأمم المتحدة- على العالم بأسره، وما مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٩٤مـ ومؤتمر المرأة ببكين ١٩٩٦مـ واتفاقية سيداو عنا ببعيد.

المبحث الرابع: مضامين ثقافة الرحمة، وثقافة الاستكبار

أولاً: مضامين ثقافة الرحمة

"من أجل ارتقاء الوعي الإسلامي إلى الخطاب الإنساني العالمي و استيعاب الآخر نجد أن الإسلام برهن بما يكفي عن قبوله بالآخر، وعن قبوله بالاختلاف مع الآخر من خلال تأسيس عملي وواقعي لقبول الآخر رافضاً كل أشكال العنصرية تجاهه، كما يرفض الإسلام تصنيف الآخر بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو الاعتقاد الوراثي الجماعي الضاغط أو لغيره من المسببات "غير الاختيارية "، وهكذا تنتفي ذاتياً كل أسباب ممارسة العنف أو الإرهاب ضد الآخر لإذلاله أو إقصائه أو محوه محواً مادياً من الوجود" (٦)، فالإسلام رغم ختمه للديانات السماوية السابقة ونسخه لها وهيمنته عليها، فإن القرآن الكريم يحدد علاقته

(١) سورة غافر: ٢٩
(٢) انظر، لسان العرب، ابن منظور، مرجه سبق ذكره، ص ٣٣٤
(٣) سورة غافر: ٢٩
(٤) كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية -قطر -العدد ٤٩ - رمضان ١٤١٦هـ - السنة الخامسة عشر الاسلام وهموم الناس، أحمد عبادي، ط١، سنة ١٩٩٦مـ،ص ١١٩. وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.
(٥) سورة العلق: ٦، ٧
(٦) انظر: عموم الرحمة وعالمية الإسلام، أبوزيد المقرئ الإدريسي، ط١، ص ٤٥- ٤٦، منشورات مؤسسة الإدريسي الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، الدار البيضاء، مارس ٢٠١٤ م.

بها، فقبل أن يقول: (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)، يقدم قبلها: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ}(١)

وتكمن مضامين ثقافة الرحمة في الآتي:

١/ النظر إلى الاختلاف بوصفه طبيعة، أي أنه جبلة بشرية متأصلة، فلا تعتبره انحرافاً ولا منكراً، ولا استثناءً، بل أنه الأصل، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(٢)، لأن الاختلاف يؤسس للاجتهاد في الرأي، ولأن الاختلاف في زوايا النظرة الشرعية أو الفقهية أو السياسية هو الذي يؤسس للاجتهاد، ولأن الاختلاف جزء من الحرية، فإن الإسلام يجعل من حق الإنسان أن يختلف، ويبني هذا الاختلاف كسلوك فطري على أرضية هي في عمق هذه الفطرة، هي التَّوق إلى الحرية، والرغبة في الحياة بحرية "(٣)

٢/ البعد التصوري المتمثل في التفاهم، و البعد الأخلاقي المتعلق بالتحاور، و البعد العملي المرتبط بالتعاون، ويمكن أن نلخص الأساس التصوري العميق لهذه العناصر الثلاثة، في قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}(٤)، هذا المعنى الرائع ينفي عن ثقافة الرحمة مبدأ التميز عن الآخرين، ويجعل الناس جميعا سواء أمام القانون الإلهي، سواء أكانوا يهودا أم نصارى أم مجوسا أم غيرهم

٣/ من مضامين ثقافة الرحمة نجد أن الرحمة من الأسس التي قامت عليها العلاقات الدولية في الإسلام، فالإسلام دين الرحمة، ولذا كان التواصي بها بين المسلمين، قال تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}(٥)، ورسول الإسلام هو رسول الرحمة، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}(٦)

والرحمة التي يدعو إليها الإسلام لا ينعم بوارفها المسلم فقط، فإنها تظل المسلم وغير المسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ , ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)(٧).

٤/ ومن مضامين ثقافة الرحمة أيضاً أنها تعني بالنزعة الإنسانية التي تميزت بها عن ثقافة الاستكبار فنقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة والعصبية إلى أجواء الحب والتسامح والتعاون والتساوي أمام الله، ولدى القانون، وفى كيان المجتمع تساوياً لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق، أو فئة على فئة، أو أمة على أمة، وأن هذه النزعة لتتجلى في مبادئها وواقعها.

---

(١) سورة المائدة: ٤٨
(٢) سورة هود: ١١٨
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٨
(٤) سورة النساء: ١٢٣
(٥) سورة البلد: ١٧
(٦) سورة الأنبياء: ١٠٧
(٧) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: رحمة الناس، حديث رقم: ١٩٢٤.

ثانياً: مضامين ثقافة الاستكبار

١/ لم تثبت قدرتها على قبول الآخر ولا على تحمل الاختلاف معه ولا على فهم العالم إلا على صورة نمطية موحدة، هي أن يكون انعكاساً لصورتها المهيمنة، منذ عهد الرومان إلى زمن العولمة، مبرزاً أن أحد ثوابت ثقافة الاستكبار "نفي الآخر".

٢/ بالرغم من أن خطاب الغرب اليوم هو خطاب التسامح والإنسانية والتعايش والديمقراطية وحقوق الإنسان، فإنه كان دائماً يقصي وينفي الآخر، فمن الرومان إلى الأمريكان، من الإمبراطورية الرومانية إلى العولمة الأمريكية، نجد حوارا متمركزا حول الذات أو ما يسمى " التمركز حول الأنا فقط "(١).

٣/ ثقافة الاستكبار المتمثلة في الغرب الذي لا يحاور الآخر، وإنما يحاور نفسه بصدد الآخر، ويتحدث مع نفسه عن أشكال تصور الآخر وعن أشكال التعاطي معه والهيمنة عليه واستغلاله ومحاولة تنميطه بإلزامه بالمقاييس والمفاهيم الغربية، ويريد أن يكون الآخر نسخة له بالشكل الذي يريده هو، وليس ما يريده الآخر نفسه.

الخاتمة وتشمل:

أولاً: النتائج

١/ إن عموم ثقافة الرحمة وشموليتها يستدعي قيمة حفظ الكرامة الإنسانية {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}(٢)، التي ربطت بالآدمية فقط دون أي إحالة على صفة مميزة، مما يقتضي الارتقاء بالخطاب الإسلامي المعاصر إلى أفقه الإنساني والعالمي والكوني، من أجل تفعيل جاد لقيم الكرامة والعدل والحرية والشورى، لتأخذ مكانها المحوري في أسئلة النهضة والتحرر الحارقة ضمن رؤية إصلاحية حضارية شامله مركزها الإنسان تحريرا وتكريما وتفعيلا.

٢/ معاودة إخراج هذا الانسان وسيلة ثقافة الرحمة وغايتها، ومن ثم إقامة ثقافة الرحمة يتطلب الكثير من الجهد والمجاهدة والاجتهاد وهو السبيل للاضطلاع بالمهمة لإقامة وإبراز ثقافة الرحمة وتحقيق العبودية قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [سورة الأنبياء: ١٠٧]

٣/ أما ثقافة الاستكبار تعمل على احتواء للعالم ونفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الايديولوجي.

٤/ ومفاد النتيجة أن حتمية الصراع بين الخير والشر المتمثل في ثقافة الرحمة وثقافة الاستكبار، فما دام أنهما موجودان – الخير والشر – فلا بد من اشتباك بينهما، وقصة استكبار إبليس مع آدم عليه السلام التي تمّ ذكرها في هذا البحث، تشير إلى ذلك، وكذا قصة ابني آدم، ثم ما لاقاه أنبياء الله جميعاً من العداوة.

٥/ وأخبر عن عُلوِّ الباطل المتمثل في ثقافة – الاستكبار– ولكنه علو مؤقت لا فائدة فيه، وستكون الدائرة للخير: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}(٣)، وهذه سنة كونية تنبئ عن هذه الحقيقة التي ذكرناها بشأن الأمة من كون الحق – ثقافة الرحمة – سينتصر

---

(١) عموم الرحمة، أبوزيد المقرئ الإدريسي، مرجع سابق، ص ٥٧.
(٢) سورة الإسراء: ٧٠
(٣) سورة الرعد: ١٧

في النهاية، كما قال الإمام ابن قتيبة ــ رحمه الله ــ عن الآية السابقة: "هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ للحق والباطل، يقول: الباطل وإنْ ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه، فإنَّ الله سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، ومثلُ ذلك مطرَ جود أسَالَ الأودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً، أي: عالياً على الماء كما يعلو الباطل تارةً على الحق، وكذلك المعادن إذا دخلت الكير يُوقد عليها فيعلوها مثل زبد الماء، فهو مثل الحق"(١).

ثانياً: التوصيات

١/ ضرورة تأصيل مفهوم الرحمة في إطارها الشامل في التعاملات بين المسلمين بحيث تتحول الى منهج حياة مستمد من الشريعة الاسلامية بنصوصها الثابتة ونموذجها البشري الفريد، فتصبح منظومة شاملة تسود المجتمع وترتقي بأخلاق أفراده، فتعم ثقافة الرحمة بين الأبوين في المنزل، والتاجر في سوقه، والموظف في مكتبه، والداعية في دعوته، والعالم في علمه، والسياسي في سياسته الداخلية والخارجية، كل راع يقوم بالرحمة في حدود مسؤوليته ؛ هذا من اجل الوصول الي ثقافة مجتمعية تنشد الرحمة سلوكاً بين الأفراد في جميع الأماكن.

٢/ نشر قيم التسامح بين المسلمين وإضافة القيم المهمة في تعميم ثقافة الرحمة، وتفعيلها لدى شرائح المجتمع المختلفة، من خلال المنابر العلمية والدعوية والإعلامية.

٣/ معرفة السنن الكونية التي تتعلق بصراع ومغالبةٍ بين الخير والشر، والنافع والضار، والطيب والخبيث ؛ ثم فيما يتعلق بالأمة المسلمة صاحبة ثقافة الرحمة، والله سبحانه وتعالى أخبر عن هذا الصراع في قوله: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}(٢)

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: سيد صقر، ص ٣٢٦.
(٢) سورة البقرة: ٢١٧

ثالثاً: المراجع

١. صحيح البخاري، الإمام البخاري هو :محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بردزبه الجعفي، أبو عبدالله بن أبي الحسن البخاري، نسبة إلى بخارى في خراسان الكُبرى.
٢. صحيح مسلم، الإمام مسلم فهو أبو الحُسَين مسلم بن الحَجَّاج النيسابوري، ولد بمدينة نيسابور سنة ٢٠٦ هـ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق طلبًا للحديث.
٣. سنن أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي المشهور بأحمد بن حنبل، هو أحد أئمة أهل السنة والجماعة.
٤. سنن الترمذى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى السلمي الترمذي
٥. سنن أبو داؤود، الإمام أبو داود هو سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير الأزدي
٦. سنن ابن ماجه، لصاحبه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه.
٧. سنن البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي.
٨. شرح صحيح البخارى، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، ج٩، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ
٩. الأربعين النووية، الامام أبي زكريا يحى بن شرف النووي
١٠.شرح الأربعين النووية، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن
١١.إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، الامام أبي عبد الله محمد أبي بكر بن أيوب ابن القيم
١٢.مقالات الشيخ محمد الغزالى، مجلة الوعي الاسلامي، العدد: ٨٣ ذو القعدة ١٣٩١ هـ ديسمبر ١٩٧١م، تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية.
١٣.شرح كتاب التوحيد، للحازمي، ج٢
١٤.الفتاوى الكبرى، تقي الدين أحمد أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن تيمية.
١٥.أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ط٥، ص ٤٢، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.
١٦.القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط٢، ج٢، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – سنة ١٤٢٤هـ
١٧.القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى.
١٨.منهاج الحكم في الإسلام، محمد أسد، ط ١، القاهرة، دار المعارف
١٩.لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، مادة: « ثقف »، ج٢، دار صادر، بيروت، سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٢٠.القاموس المحيط، للفيروز آبادي، المكتبة التجارية، مصر.
٢١. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.
٢٢.مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين
٢٣.المعجم الوسيط، مادة «ثقف»، ج١

٢٤.التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور
٢٥.الأخلاق الاسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ج٢
٢٦.عموم الرحمة وعالمية الإسلام، أبوزيد المقرئ الإدريسي، ط١، منشورات مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، الدار البيضاء، مارس ٢٠١٤ م.
٢٧.الكليات، للكفوي، مقابلة وإعداد: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، ط١، ص ٤٧١، سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م
٢٨.الاسلام وتحدي الماركسية اللنينية , للاستاذ عبد السلام ياسين.
٢٩.أبوزيد المقرئ الإدريسي، عموم الرحمة وعالمية الإسلام، منشورات مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، ط١، الدارالبيضاء، مارس ٢٠١٤.
٣٠.جمهرة الأمثال، للعسكري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، ج١، دار الفكر ١٩٨٨م
٣١.التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة سنة- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م
٣٢.ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق سيد صقر.
٣٣.دستور التسامح في الإسلام: المكي الناصري.
٣٤.سُرادِق التسامح، مشاري العلي، ط١، الدار العربية للعلوم – سنة ٢٠١٢م
٣٥.الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف الشحود، ط١، ج ١، الناشر: دار المعمور، بهانج – ماليزيا – سنة ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٠ م.
٣٦. من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي، ط١، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م
٣٧.السماحة الاسلامية، محمد عمارة، ط١ أغسطس ٢٠٠٦مـ
٣٨.وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، المنعقد بالقاهرة في الفترة من ١ – ١٥ من سبتمبر سنة ١٩٩٤مـ، الترجمة العربية الرسمية
٣٩. كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية –قطر –العدد ٤٩ – رمضان ١٤١٦هـ – السنة الخامسة عشر الاسلام وهموم الناس، أحمد عبادي، ط١، سنة ١٩٩٦مـ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.